أدونيس يختتم زيارته للقاهرة وسط احتفاء وشتائم ويقول:

الثقافة العربية باعدت بين الشعر والفكر!

القاهرة ـ «القدس العربي»

من محمود قرني:

اختتم الشاعر السوري الكبير «أدونيس» رحلته الى القاهرة بمحاضرة وحفل توقيع موسع للطبعة الشعبية التي أصدرتها الهيئة العامة لقصور الثقافة من مختارات الشعر العربي التي قدمها أدونيس قبل أكثر من أربعين عاما.

شهدت قاعة المؤتمرات الرئيسية بالمجلس الأعلى لثقافة وقائع المحاضرة التي لم تخل من نقاش معمق ومشاحنات وشتائم مبطنة، نالها أدونيس وتلقاها بثقة المجربين، هذا فضلا عن التحفظات التي بدت أكثر موضوعية لأطروحات أدونيس الفكرية والفلسفية، والتي قدمها أكثر من متداخل في سياق المحاضرة وتعقيبا على أبرز أفكارها.

في البداية قدم الدكتور عماد أبو غازي نائب الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة لوقائع المحاضرة مقدما تحية حارة لأدونيس، ثم تحدث الدكتور أحمد مجاهد مدير عام النشر بالهيئة العامة لقصور الثقافة مقدما، بدوره، شكرا خاصا لأدونيس، لموافقته على نشر مختاراته من الشعر العربي في طبعة شعبية، وأعلن عن اتفاق أبرمه مع أدونيس لاصدار طبعة شعبية أخرى من أعماله الشعرية الكاملة تتبناها الهيئة العامة لقصور الثقافة.

بعد ذلك قدم الدكتور أحمد درويش مقرر لجنة الدراسات الأدبية بالمجلس الأعلى للثقافة، أدونيس مشيرا الى أهمية مشروعيه الشعري والنقدي لا سيما وأنهما في حالة دائمة من التوالد والتجدد وقال: أدونيس لم يولد مرة واحدة، بل هو ميلاد دائم، ولا زال يولد من جديد، فهو ليس ابن مدينته فحسب، لكن مسقط رأسه يتوزع على العديد من العواصم، وأشياء كثيرة تركها وراءه تؤكد الأبعاد الانسانية لابداعه وأفكاره، فهو واحد من الذين جددوا تراثنا الأدبي، وواحد ممن قتلوا التراث بحثا، وقدم درسا لم يستفد منه كثيرون ممن أتوا بعده، هؤلاء الذين رفضوا التراث قبل أن يقرأوه.

بعد ذلك تحدث أدونيس مستعيدا المحاور الأساسية التي شغلت محاضراته بمكتبة الاسكندرية، مؤكدا أن رأسه ليس مشغولا سوى بالقضايا العربية المعقدة والملتبسة والتي لا يملك حيالها حلولا نهائية، وأوجز أدونيس محاور حديثه في أربع نقاط.

أما الأولى فجاءت حول العلاقة بين الكاتب وكتبه، وتمثلت في السؤال الذي كان مطروحا كمحور أساسي لاحدى محاضرات مكتبة الاسكندرية وهو اذا ما أتيح لأدونيس أن يعيد كتابه «الثابت والمتحول» هل كان سيكتبه بالطريقة ذاتها، وهو سؤال يرى أدونيس أنه كان يجب أن يصاغ كالتالي: هل يحق لكاتب أن يعيد صياغة كتاب من كتبه في تواريخ سابقة؟!

يجيب أدونيس بالقول: نعم كنت سأستوفي قضايا لم تأخذ مكانها الطبيعي في البحث منها الربط وثيقا بين قضايا التراث والحداثة بشكل أوسع وأعمق.

كنت سأقف طويلا أمام النص القرآني باعتباره نصا جامعا لكل الثقافات التي سبقته، وستكون مسألة اللغة في قلب هذا التحليل، فكيف للغة وثنية أن ينطلق بها المطلق الالهي وكيف تحولت المعرفة الى ماض، وكيف أصبحت تاريخا، وكنت سأقف طويلا أمام النظام في الخلافة الاسلامية وكيف تحولت العلاقة الى نظام سياسي، وكيف تحول النظام الى غاية في ذاتها حولت الانسان الى مجرد أداة.

أما المحور الثاني الذي تحدث فيه أدونيس، فكان يرتبط بديوان الشعر العربي، ويقول هنا: أردت أن أقدم الشعراء القدامى لشعراء الحداثة فوجدتني أخوض معركتين الأولى ما أسميه معركتي الذاتية وهي غير الفردية وغير الأنانية، ويضيف أدونيس: لقد ألححت على ابراز الذاتية في هذا الشعر واستبعدت ما فيها من صوت القبيلة والسياسة والنظام وكان يبدو لي في تلك الفترة كأننا من المحيط الى الخليج مجرد موضوع بلا ذاتية، لهذا لم نكن نوعا بقدر ما كنا كماً، وقال أدونيس ان وصف الشعر في لحظة من لحظاته بأنه «جاهلي» يجب أن نسقطه كليا، ويرى أنه يتعذر علينا أن نكون حديثين الا بارتباطنا بذاتية هذا الشعر وذاتية تلك اللغة، فالشاعر ليس زياً للحداثة تصنعه ثم تلتهمه، لقد كان الشعر سائرا في طريق واسع من الأدلجة.

ويضيف أدونيس ان المعركة الثانية في هذا الخضم هي معركة الذائقة التي كانت مشحونة بجماليات القديم، لذلك كانت ذائقة مسطحة تعمل ضد العمق وتركن فقط الى المشاهدة أو السماع عاملة على تحويل القصيدة الى أغنية لا تحتمل أي نوع من الاستبصار. ويردف أدونيس: ان تاريخنا الشعري شهد تراكما واسعا منذ الخمسينيات، ورغم معرفتنا الواسعة بالشعر في هذه الحقبة الا أنها ـ مع ذلك ـ تبدو أكثر المراحل جهلا بالشعر. ان صورة البصر الآن تلعب دورها في الغاء صورة البصيرة.

أما فيما يتعلق بعلاقة الشعر بالفكر فقال أدونيس: تتمحور العلاقة بين الشعر والفكر في الثقافة العربية كحالة من حالات الاقصاء وذلك خلافا لجميع التقاليد المتعارف عليها في الثقافة العالمية، وخلافا لما جاء عليه الشعر العربي نفسه، واستعاد أدونيس عددا من الصور التي عمقت هذا الاقصاء بين الشعر والفكر ومنها ـ على سبيل المثال ـ الفقه الاسلامي الذي تخلف كثيرا عن الطفرات المعرفية الكونية فابن تيمية مثلا يعتقد أن الدين ألغى مجهولات، وهذا يتناقض كلية مع الشعر، فالشعر يكتشف الحقيقة من خلال التجربة، وثقافة الشاعر في عمومها متناقضة، وتنهض على أن الحقيقة ليست مكتشفة، لكن الرؤية الدينية محدودة ومحددة والشعر متحرك أبدا والقصيدة سؤال مطروح على العالم، ويردف أدونيس مؤكدا: ان الشعر لا يمكنه الافصاح عن مجهول العالم الا اذا كشف عن مجهولات اللغة.

وفي هذا الاطار يرى أدونيس أن المجاز فكر خالص بقدر ما هو فن خالص، أما عن الهوية في الشعر فيراها تتحقق بالشرائط الانسانية العامة، وبهذا المعنى لا يمكن للشعر أن يكون فئويا أو طائفيا أو عقائديا، وأخذ مثالا «الدولة اللبنانية» قائلا عنها: انها بلد يتكون من مواطنين من مختلف المدارج ويقومون بالواجبات ذاتها لكن ليس لهم الحقوق ذاتها، وهنا يبدو الدين عنصر ظلم واضطهاد وبالتالي لا يمكن الا أن يكون عنصر تخلف، فاذا كانت قيمة الانسان تتحدد بانتمائه الى طائفة انتفت فكرة المواطنة لذلك فان اناسا بعينهم مرذولون في لبنان عن غيرهم في بلد آخر، أمام استحالة الديمقراطية والمواطنة.

ويضيف أدونيس أن الهوية في بعدها التاريخي تلتمس جانبا مهماً في الشعر، فمثلا اذا كان هارون الرشيد شخصا عظيما الا أن عصره بقي بأعمال الشعراء والفنانين والمؤرخين والمفكرين أما ما عدا ذلك فقد أصبح تاريخا، لذلك فان تماثلات الهوية تبدو في الابداع وليس في دواوين السياسة.

وعن محددات الهوية يطرح أدونيس عددا من التساؤلات حول علاقة الهوية بالدين واللغة ويقول: اذا كانت اللغة والدين لا يمكنهما تحديد الهوية، اذن فما الذي يحددها؟ ويجيب: انها لا تحدد، فهي مشروع مفتوح ومتواصل، فالانسان يأتي أولا قبل الدولة والوطن والدين، والهوية تذكرنا بقول هيراقليطي: «أنت لن تعبر النهر ذاته مرتين»، وهو ما يؤكد أن الهوية لا تلتمس في مشترك عام، انما هي في الخاص الابداعي. ثم يتساءل أدونيس عن الكيفية التي يؤسس بها الشاعر هويته، ويقول انها تتأسس في سؤاله: كيف أكتب نفسي أو كيف أكتب مجتمعي الذي أنتمي اليه؟

فالشاعر عندما يكتب نفسه لا بد أن يخرج من سلطة الأب ليس باعتبارها سلطة، ولكن باعتبارها ذاتا، وذلك حتى تسير الكتابة في اتجاه الافصاح عن الهوية.

بعد ذلك تم فتح باب المناقشة فتحدث الدكتور محمود الربيعي مشيدا بتجربة أدونيس ومعترفا بأنه رجل كلاسيكي لكنه يطلب من أدونيس شيئا غريبا في قوله: ليرحم أدونيس أتباعه من الجاهلين ويقول لهم مرة أخرى ان الحداثة لا بد أن تكون مغروسة الساقين والقدمين في التراث، أما الدكتور حسن حنفي فسأل أدونيس عن المناهج التي أتبعها في كتبه وقد أراد الاشارة الى شيء من التناقض في استخدامات تلك المناهج، كما أشار الى أن فكرة الثابت والمتحول موجودة في كل الحضارات، وأن هذا التبادل يقوم على الاقصاء أو التكامل، أما الشاعر محمد ابراهيم أبو سنة فقد استهجن في غضب واضح ومؤسف لمن في مثل سنه ربط أدونيس بين الفكر والشعر وكان يقصد الى التقليل من شأن تجربته ووصمه بالذهنية والافتعال، دفاعا عن أطياف رومانسيته الغابرة، أما الشاعر حسن طلب فقد قال ان الأفكار العميقة وحدها هي التي تثير الرغبة في الحوار أو الخلاف مثلما يحدث دائما في طرح أدونيس، وتوقف طلب عند بعض النقاط التي طرحها أدونيس قائلا: عندما ننظر الى تاريخ الشعر العربي بشيء من التعميم رغم ضرورته مثل ان الثقافة العربية هي الوحيدة التي ينفصل فيها الشعر عن الفكر فهذا ليس دقيقا، كذلك تحدث طلب عن صعوبة تحديد الهوية حسبما ذكر أدونيس وقال ان الهوية يمكنها أن تحدد لكن المشكلة أن تحديدها يتم من أجل تثبيتها.

كذلك تلقى أدونيس بعض الأسئلة التي وردت بدون توقيعات، وهي في الاجمال أسئلة مثيرة للغضب والحنق مثل علاقة أدونيس بايران، وكذلك علاقته بالتشيع ورأيه في كتاب «أدونيس منتحلا» لكاظم جهاد، وكانت أطرف اجابته حول هذا السؤال أن قال: أعتذر وأعترف بالتقصير لأنني لم أقرأ الكتاب.

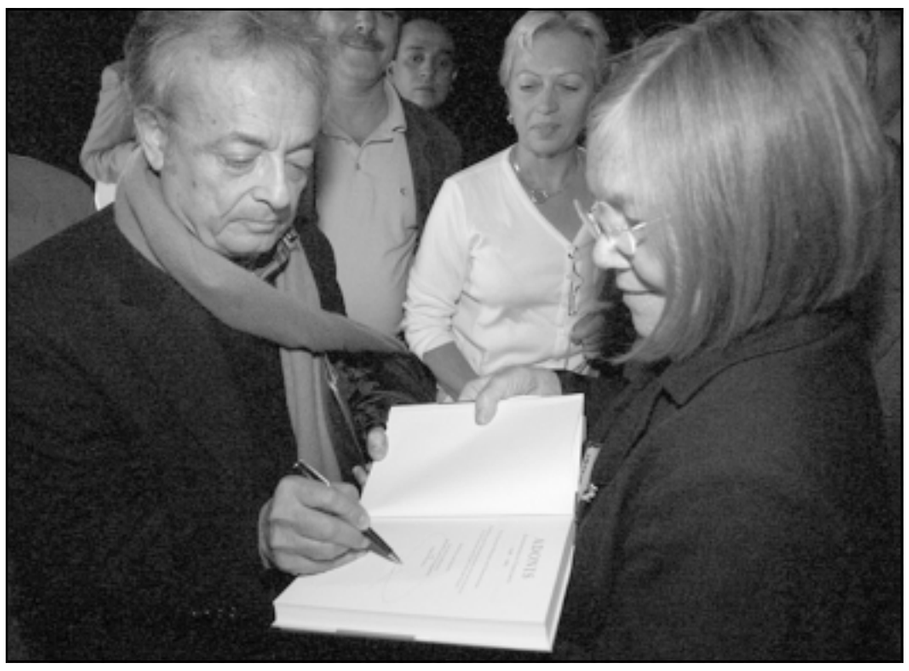

ادونيس (القدس العربي)

الجانب الآخر من الحدود

سعدي يوسف

■ بين الثاني عشر من شهر تشرين أول، هذا العامَ، 2006، والخامس والعشرين منه، كنتُ في كندا، للمرة الأولى. لم يكن الأمر مفاجأةً، إذ سبقَ الزيارةَ تحضيرٌ دقيقٌ، وضبطُ مواعيدَ، وإرسالُ نصوص، وترجمةٌ أخرى، إلى كل ما يتّصل بالسفرة مَن شؤون قد تبدو غريبةً، كالسؤال مثلاً عن حساسية معيّنةٍ في الطعام، أو إنْ كنتُ أعاني من دُوار البحر، إذ أنّ البرنامج يتضمّن الإبحار بـ "عَبّارةٍ" ضخمة للوصول إلى فكتوريا، لؤلؤة الباسفيك الشماليّ، حيث ستستضيفني كليةُ الآداب بجامعة فكتوريا، لألتقي مع الطلبة المتقدمين في الدراسات الأدبية، وكذلك مع المهتمّين بشؤون الثقافة والسياسة، في لقاء عامٍّ، بإحدى قاعات الجامعة. محطّتي الكنديّة الأولى في "مهرجان فانكوفر الدوليّ الثاني عشر للكتّاب والقرّاء، كانت مدينة كالغاري، غربيّ كندا، بوّابة جبال الروكي، التي يمرّ بها نهرٌ بوٌ الشهير، المدينة المعروفة بأنها مركزٌ تجاريٌ هامٌ، وملعبٌ لتربية الخيول ورياضاتها، ومركزٌ دوليٌ للتزلّج أُقيمت به قبل أعوام الألعابُ الشتوية العالمية.

في المركز الثقافي بالمدينة، المرتبط مع الفندق بممرٍّ تحت أرضيّ، ألقيتُ قصائدي باللغة الإنجليزية، لكني ألقيتُ النصّ الأصليّ العربيّ أيضاً

لقصيدة "ليل الحمرا". بعد أن انتهينا من إلقاء نصوصنا، خرجنا للقاء القرّاء. فوجئتُ بأن كتاب قصائدي الصادر في الولايات المتحدة الأميركية، باللغة الإنجليزية، عن دار غراي وولف، بولاية منيسوتا، كان معروضاً للبيع، ولأن أوقّع على النسخ المَبيعة. أقول فوجئتُ بهذا، لكن مفاجآتي الكبرى كانت في لقائي جمعاً من عراقيي كالغاري كانوا من بين حضور الأمسية. بين هؤلاء أطباء وأساتذة جامعة ومهندسون، جاؤوا مع زوجاتهم وأشواقهم. عرفت منهم فاروق يوسف اسماعيل، شقيق خالد يوسف. رجلٌ كريمٌ، طبيب، قدّم لي ديوان ابنه، زيد شلاح، باللغة الإنجليزية. قال لي: إن ولدي يدرّس أشعارك. زيد شلاح أستاذٌ في نيو كوليج بكاليفورنيا.

مقطع من قصيدة لزيد شلاح

هل عرف قيصر وكتائبُهُ، هل عرف البيزنطيون،
هل عرف الإسكندرُ
والإغريقُ، هل عرف العثمانيون، وقبل ذلك، قبل
أغنية أفلاطون
بخمسمائة سنة، هل عرف ملكُ آشوريٌ اقتحمَ
بابل بعربته الذهب معلناً
سقوطَ الآلهة الكاذبة، ومبشّراً بآلهةٍ جديدةٍ، هل
عرف أنه، كذلك،
سوف يرتفع ليسقط. سوف يتألّقُ ليخبو؟
أتساءلُ متى سيسقط الأميركيون...

***

محطّتي الكندية الثانية (في الغرب دائماً)، كانت في "بانْفْ"، وبانْف هذه تقع في واد ضيقٍ بين جبال الروكي التي تتسامقُ قممُها معْتمرةً الثلج، وتتباهى مسالكُها، حتى التي يسلكها الناس في سعيهم اليومي، بالغزلان والأيائل، تجوب الدنيا حرّةً طليقةً، غير نافرة من البشر.

والمكان مركزٌ ثقافيٌ فريدٌ، في كندا، يعمل طولَ العام، فيه مدرسة للموسيقى، وأخرى للرقص، ومركز أبحاث للمناطق الجبلية، ومربعٌ تزلّج، ورياضة ماء. فيه كل ما تتخيّله، من مكتبةٍ، ومعتكفاتِ عمَلٍ إبداعيّ، ومسبحٍ، وصالات لياقةٍ بدنية.

قيلَ لي هناك إن القراءة الشعرية ستأخذ شكلَ "كاباريه شعريّ". كنتُ سمعتُ عن ذلك، وشهدتُه مرةً ببرلين التي ابتدعت هذا الشكل في أداء الشعر بين الناس. لكنني لم أجرّبه، وهاأنذا أقع في ما لا بدّ منه.

نحن في الظهيرة، والإلقاء سيكون مساء اليومِ نفسه.

ما العمل؟

شاعرٌ كنديّ شابٌ كنتُ قرأتُ معه في كالغاري أخذني إليالمحترَف الموسيقيّ، وعرّفني على اثنين: عازف جَلو، وعازف باس فيثار.

أعطيتُ الشابّين نسخةً مما اعتقدُهُ صالحاً للأداء:

قصيدتي المعروفة: أميركا، أميركا

وأخرى بعنوان "نيو أورليانز"، تدور حول ما تعرّضت له المدينة في إعصار كاترينا، وبخاصة الزنوج من أهلها.

قال الموسيقيان إنهما سيهيّئان الموسيقى والمرافَقة.

وهكذا كان.

والواقع أنهما اشتركا معي، متناوبَين، في أداء النصّين.

بعد انتهاء الأداء، ومع التصفيق العالي، شعرتُ بنشوة أقرب إلى الدوخة!

وعرفتُ، تماماً، معنى "الكاباريه الشعريّ".

***

يقول أحد الكتّاب الكنديين: إن كندا مساحةٌ شاسعةٌ منقّطةٌ بمراكزَ آهلة!

وهكذا، يتعيّن على المرءِ أن يستخدم الطائرة، دائماً، وهكذا أيضاً تعيّنَ عليّ أن أركب الطائرة، إلى فانكوفر، من مطار كالغاري الذي بلغناه عائدينَ بالسيارة من "بانفْ".

في مطار فانكوفر، (وهو دوليّ طبعاً!) كان ينتظرني الشاعر الكندي براد كُران، الذي وجّه إليّ الدعوة أساساً، واللبناني الكنديّ محمد فارس الذي كان أبلغني، عبر الأنترنت، وقبل زيارتي بوقت طويل، أنه سيستقبلني، ويُعرّفُني على الجو العربيّ والعراقيّ بالمدينة.

كان الفندق في جزيرة جرانفيل، وهي في الأصل حوضٌ لبناء الزوارق الخشب التي يهيم بها الكنديون، ويمارسون رياضتَها، لكنها حُوّلت إلى مُرتَبَع للفنّ والفنانين، وبُنيَتْ عليها أكاديميةٌ مرموقةٌ للفنون الجميلة، وأقيمَ مسرحٌ تجريبيّ، مما جعل فنانين كثاراً يختارونها مكاناً لمحترَفاتهم. في جزيرة جرانفيل أيضاً سوقٌ شعبيٌ شهيرٌ، وفيها كذلك محطة التاكسي المائيّ الذي ينقل الناس من جانب إلى آخر في فانكوفر.

القراءة تتمّ في قاعة تبعد عن الفندق أمتاراً.

قرأتُ بالإنجليزية عدة قصائد، وبالعربية والإنجليزية قصيدة "ليل الحمرا" أيضاً.

كما كانت هناك مداخلةٌ حول الأدب والسياسة.

وقد قدّمتُ، بصراحة، ووضوح، رأيي في جريمة الاحتلال، وعقابيلها اللعينة على الشعب العراقي.

استقبلَ الحاضرون كلامي بالتصفيق!

***

العراقيون المقيمون في فانكوفر، منذ عقود، دعوني إلى عشاء في مطعمٍ لقبرصيٍ يونانيّ. كان العشاء لذيذاً، ومقدمةً لسهرةٍ في مساءٍ تالٍ، ببيت سيد فلسطينيّ.

في ذلك المساء غنّى قيس السامرائي على أنغام عود يملكي.

امتدّت السهرة حتى الفجر.

أوصلني إلى الفندق سيدٌ من آل العبد الواحد، وهم أسرةٌ بصريةٌ كريمةٌ.

أسرّ إليّ الرجل بأن بدر شاكر السياب أحبّ إحدى قريباته، وأنها هي ابنةُ الشلبي في القصيدة الشهيرة "شناشيل ابنة الشلبي"!

***

ليلى نادر، كاتبةٌ من فانكوفر، جاءت إلى لندن لإجراء مقابلة معي تسبق زيارتي كندا...

محمد فارس، دعاها مع زوجها سُكوتْ، لنتعشى سويةً في مطعمٍ ذي خصوصية.

***

في اليوم الأخير من إقامتي بجزيرة جرانفيل، جاءني تِمْ لِلْبُورْن، الشاعر، والأستاذ بجامعة فكتوريا، ليأخذني إلى جزيرة فكتوريا، عاصمة كولومبيا البريطانية، حيث الجامعةُ، وتمثال الكابتن كوك، وحيث تجوبُ الحيتانُ وأسودُ البحر مياهَ المحيط الهادي الشمالية.

قال لي إن الحافلة ستُحَمَّلُ، ونحن فيها، على العَبّارة (المُعَدّية كما يقول أهل مصرَ)، وإننا سنُمضي حوالي الساعتين في مياه المحيط، قبل أن نرسو في فكتوريا.

***

يقالُ إن فكتوريا أكثرُ إنجليزيةً من بلاد الإنجليز "إنجلترا"!

والحقُّ أن المرء يلمُسُ ذلك، في طبيعة المبنى، والمأكل، والملبس، في الإنجليزية المنطوقة، وفي الطبع الأنيس غير المتحمّس.

التمثال الوحيد للملكة فكتوريا، شابّةً، منتصبةَ القامة، لا امرأةً وسَطاً جالسةً على العرش، ممسكةً بالصولجان، وجدتُه في فكتوريا يواجه البحر عند مبنى المجلس التشريعيّ.

***

دعاني تِمْ لِلْبُورن إلى عشاءٍ في منزله الملاصقِ جبلاً.

استقبلتنا زوجته هيلي، ثم انضمّت إلينا الشاعرةُ جانِ زفيسكي:

عزّ الصيف. الدروب إلى البيت متربة
مثّل رَفّ طفولة لم يُمَسّ. الحقول تذوبُ في قيظ،
بحاراً قاحلةً ساطعةً. جانب النهر جافٌ أيضاً.
السيول قضمت ضفتيه.
عنفٌ غيرُ مستعادٍ. ماؤنا الوحيدُ هو المِلْحُ.

***

تِمْ لِلْبورْن:

هذا ما تبتغيه.
تمضي في تلال القنافذ عصرَ يوم بارد،
وتنحدر عبر ممرٍّ للقيقب، إلى أرضٍ سامّ، وراء
كثيب يغطيه عشبٌ خفيفٌ.
ثم تدخل في دغلٍ حقيقيّ
ثمّتَ ستبصر الغزلان.
ليس لإيروس إلاّ أن يكون أسىً
أنت لن تبلغَ السبيلَ لتبصرَ الغزلان...

***

قال تِمْ لِلْبورن، مشيراً إلى غابة تمتدُّ أمامنا، ونحن مَاضيان بسيارته إلى الجامعة: هذه غابةٌ مَطَريّة. واستدركَ: غابةٌ مَطَرية شمالية. وبعد دقائق قال: ليس بيننا وبين ولاية واشنطن، سوى كيلومتر واحد. حمداً للّه. نحن على الجانب الآخر من الحدود!

إشارة تِمْ هذه، تعبّر عن قلق متنام يساور الكنديين، بصدد الولايات المتحدة وأطماعها، وبخاصة في ما يتّصل بالنفط والغاز.

وهم يقولون بأن الشركات الأميركية الكبرى تريد التهام كندا بما فيها، وقد شرعت هذه الشركات ترشو الناسَ والمؤسسات.

إن وعياً وطنياً جديداً أخذ يتنامى في كندا.

الكنديون يخشون أن تلتهمهم الولاياتُ المتحدة.

قلتُ لتِمْ لِلْبورن: حمداً للّه... أنتم تحت رعاية الملكة إليزابيثَ الثانية!

خُصّصَتْ مبالغُ هامّةٌ لبناء الوعي الوطني انطلاقاً من تشجيع الثقافة والفن، وزيادة الأنشطة الثقافية.

الكنديون يقولون إنهم يعرفون كل شيء عن الثقافة الأميركية، بينما الأميركيون غير معْنيّين أساساً بشيء اسمه الثقافة الكندية.

ومن هنا صار التأكيدُ على الثقافة الوطنية الكندية أشدَّ إلحاحاً.

في السابق، كانت مقاطعة الكيبك هي الأكثر استثماراً في الثقافة، بفضل التوظيفات الفرنسية في هذا المجال.

لكن كيبيك تبتعد، تدريجاً عن كندا، ولربما استقلّت، في العام 2012، كما يشاع ويقال.

إذاً كندا الكندية، هي ذات ثقافة انجليزية!

في المهرجان العالميّ الذي استمرّ أسبوعين لم يُدْعَ أحدٌ من الناطقين بالفرنسية.

اتّصلتُ بصديقة شاعرة من كيبيك، تكتب بالفرنسية، هي لويزْ وارن. سألتُها: ألم تُدْعَي أنت؟

أجابتني: لم يُدْعَ أحدٌ منّا، هنا في كيبيك!

***

في الرابع والعشرين من تشرين أول (أكتوبر) جاء، تِمْ، في الصباح الباكر، إلى فندق جراند باسيفيك، حيث مقامي بفكتوريا.

أراد أن يظلّ معي في مرآب الحافلات التي ستنقلني إحداها إلى مطار فانكوفر، في الخطوة الأولى من العودة إلى لندن التي أحببتُ.

رجوتُه أن يكتفي بإيصالي إلى الحافلة، فلسوف أتدبّرُ أمري...

سألني: أأنت متأكدٌ؟

Are you sure ?

وتذكّرتُ التعبير اللندنيّ رأساً!

بعد أن قرأتُ قصيدتي «مستعمرة رومانية» باللغة الإنجليزية، وقد وردَ فيها المقطع الآتي:

But we were Greeks
And peasants
So, we didn't manufacture weapons
And didn't train our boys to be soldiers
(Aristotle's disciples didn't tell us that their master
Was training the son of Philip the Macedonian to conquer cities!)
The world changes they said
Even the sun will rise from the west ..

وترجمته العربية هي:

لكنّا يونانيون
وفلاحون
فلم نصنعْ أسلحةً
لم نعرف كيف نُعِدُّ الفتيانَ جنوداً
(ما قال تلاميذُ أرسطو إن معلّمَهم كان
يدرّبُ ابنَ فيليب المقدونيّ على غزو المُدُنِ!)
الدنيا تتغيّرُ
قالوا
حتى الشمسُ ستشرقُ من جهةِ الغربِ...
.....
قال أحد الطلبة:
أنا أعدُّ أطروحةً عن أرسطو كما
أشار إليه الشعراءُ...
وأنت أولُ مَن أشارَ إلى دورِ أرسطو
في إعداد الإسكندر المقدوني لغزو العالَم...

ملحوظة: النصوص الشعرية الكندية من ترجمتي.

لندن 27,11,2006

قصائد مختارة من الشعر الألماني الحديث

ترجمة وتقديم: أمير علام

عرف الشعر الألماني طريقه الى الحداثة منذ ثمانينيات القرن الماضي، بعد أن تخلص من التأثير الوجودي الغارق في اليومي والغامض والذي ساد الساحة الشعرية في سبعينيات القرن العشرين، وأخيرا وجد الشعر الألماني المعاصر هويته الحداثية وصوته الخاص بين المدارس الأوروبية الأخرى.

شهد المجتمع الألماني في العقدين الأخيرين من القرن العشرين وصولا الى وقتنا هذا تغيرات هامة وجذرية، بدءا بحركة تحرير المرأة مرورا بنهاية الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفييتي والوحدة الألمانية، حتى العولمة وأحداث الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) وما تلاها من تداعيات، وكما هو الحال في كل العصور، تولى الفن والشعر خاصة مهمة الوسيط الروحي والسفير الفكري بين الواقع المادي والانسان، الذي بات مكانه ينحسر أمام الطوفان المعلوماتي والاعلامي.

في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، يأتي جيلا الثمانينيات والتسعينيات في ألمانيا بل وفي العالم كجيل الوسط وهو جيل بلا قضية ملحة، جيل من المستهلكين، تتحكم في تكوينه ثقافة الصورة ونظريات التسويق وثورة الاتصالات التي زادت من عزلة البشر عن بعضهم البعض ونمت الحس الفردي، حيث صار البشر يعيشون على جزر متلاصقة منعزلة، وبدوره أصبح الفن منشغلا بتقديم الغير مألوف والصادم منتزعا نسيجه من واقع يرفض الكثيرون تصديقه بالرغم من أنهم يعيشونه بل وفي كثير من الأحوال، يتطابقون معه.

هنا نقدم ترجمات لأربعة من الشعراء الألمان من جيلي الوسط والشباب وعلى رأسهم الشاعر توماس كلينج الذي رحل في العام الماضي عن عمر يناهز السابعة والأربعين، وهو يعد الأب الشرعي لجيل الثمانينيات، وأهم صوت شعري ألماني في العقدين الماضيين ومعه ثلاثة من أهم الأصوات الشعرية الحديثة في الساحة الشعرية الألمانية.

توماس كلينج
(1957 . 2005)

قشرة أرضية I

القمة أمامي، السفح ورائي
لكنها دائما من أرى. رياح
جراح لن تشفى. جذور مقلوعة
خشب عطن وحشائش مقصوصة.

فجأة، من لا شيء
بين الممرات الوعرة
كما أكد في خطابه
مروحيتان سوداويتان
من لا شيء

تحلقان فوق الميدان. مراوح
تحصد الهاربين

هؤلاء القافزون بعنف
في هواء صارخ مقطوعة رأسه، هواء.
وبحلول الظهيرة، ريح نحيفة ثم مسافة.

قشرة أرضية II

الشَعر ثلجي البياض، هذا الشعر
أسود، ينمو ثانية في الجذور.

صرنا سائلين
فطفونا نحلتين، أنقذتا في عسل فجري وامض.
تضحية، ابتهال، طعام للموتى.

كيف انكشف صوتك هكذا على العالم، أرضه المنخفضة
أشرقت في ضوء عباد الشمس الأسود،
نفيض في عسل ساهد، في سيولة الكلمات:
جوع محسوس تجاه كل شيء.

أوفه كولب
(1957)

المياه التي بجانبها نسكن

نشد أنفسنا لأعلى
واقفين
نبصق الماء الطيني
من أفواه فتيةٍ
ونسعل الماءَ المزعج
من حلوق بريئة.

العيون لم تبدأ في الرؤية
بعد.
لكنها بدأت فعلا
في البحث عن مساعد
هذا الواقف
أعلانا
على جسر للمارة
جاف ومنخفض
بعد لحظات
سيضمنا ذراعه، سيرفعنا عاليا.
لا زال كما هو
تصحبه ضحكته أينما ذهب
ولا زال يضحك بصوت مرتفع
كي يقدر على المساعدة.
بعد لحظات
سنقف بجانبه
كالحملان.

سبتمبر 2001

لعدم وجود زبائن

أغلق مطعم الفندق أبوابه الليلة في العاشرة
شاهدت الأخبار بينما كنت أحتسي كوبا من البيرة
في البار
أليس اليوم خميسا؟ والمفترض أن العالم بأسره يخرج؟
على صندوق البريد
هذا الذي ألقي فيه خطاباتي للوطن
ملصق يحمل تنبيها بغلو أسعار الطوابع
أعلى التل بحر من الطاولات الخاوية في (البيرجارتن)*
أضواء الكشافات تعري الأشجار
على صوت موسيقى صاخبة.
أتابع السير نحو طلال القلعة القديمة
حيث يتقابل الأحبة الصغار.
النجوم تلمع بالكاد
وأسفل تتراقص أضواء المدينة
ـ لا يوجد الكثير من المباني الشاهقة.
بخفة أتسلق الأحجار نازلا
عائدا من حيث أتيت
وعلى جانبي الشارع
قطط تحدق متوجسة
بينما تبحث لها عن صيد في صناديق القمامة.

*حانة مكشوفة لتقديم البيرة.

مونيكا رينك
(1969)

منتزه

الضوء الأبيض
يغلف المدينة
وفي المنتزه
هناك أعلى الطرق
والشوارع
حيث يحترق الصيف
تقف أشرعة الدخان بلا
حراك
سنضحي أولا بطهرك يا حبيبي
ونحصل على ملكة اللغة في المقابل
ساكنة، منهكة تتمدد الأجساد
تحت ظل الحديث.

مشاعر في نافذات

الرغبة الاضافية تتواجد
عندما تمتلك الرغبة نفسها القدرة
على اضافة شيء ما
وحتى التشبع وان وجد، لا
يستطيع هذا.
عندما يختلط المجهول باليقين
في الضوء المشوش في
نافذات المساء
وتتفكك المسافة متباعدة،
أصرخ: لا أريد شيئا
مما أعرفه!
و الا هناك وحدة
باردة
تماما مثلما يوجد دجاج بارد في مطاعم باريس.

كرستن هنزل
(1961)

سوق
آه أنظر
الثمرة العالمية
ببشرتها الشمعية المضادة للتعفن
(حتى سنو وايت يمكنها أن تبتلعها)
هذه اللاشيء ذات المذاق الحلو
تلمع وكأنها داخل لوحة زيتية
ولا تقوى على أن تفوح برائحة.
أنا الوحيدة
التي تمددت منهكة
أسفل طاولة البائع
لاعنة اياه.

عندما ذهبت الى بيته
عندما ذهبت الى بيته
أزاح الطاولة بعيدا
ألصق السرير بالحائط
ولكن أنا هي من مددها
بينه
وبين البداية الوردية لأحلامنا.
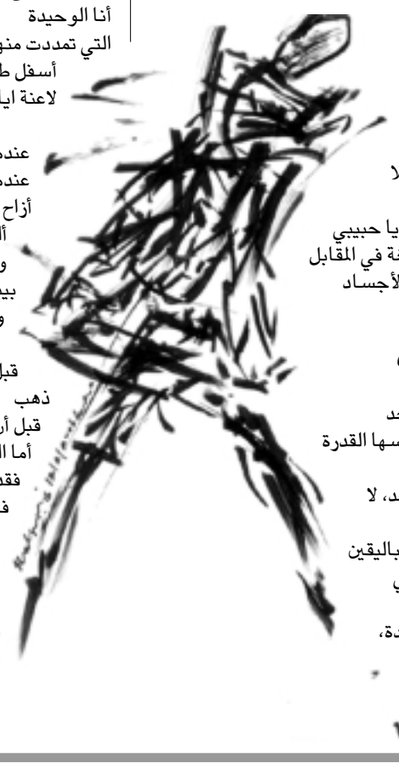
قبل أن ينتهي وقتنا
ذهب
قبل أن تنمو الحجرة ثانية بديكورها.
أما السرير
فقد بقى في مكانه
فخا قلبيا دافئا.
عبر الباب
أتى نوفمبر بالثلج
الطاولة تلاحقني بالأسئلة
وحده النوم يسوقني نحو السرير.
في الخارج
يسير بقامة مائلة
وعصا الحب المحنية
تدق على الثلج.